

عنوان الرسالة: تأثيرات مواقع التواصل الاجتماعي في قيم الطالب الجامعي الجزائري: الفيسبوك واليوتيوب أنموذجاً -

دراسة ميدانية في جامعات قسنطينة

الباحثة: سكيانة العابد

الدرجة العلمية: دكتوراه علوم في علوم الإعلام والاتصال والسمعي البصري

المؤسسة: جامعة قسنطينة ٣ صالح بوبنيدر - كلية علوم الإعلام والاتصال والسمعي البصري -

الجزائر

سنة المناقشة: ٢٠٢٢



إعداد

محمد خالد الديباس

نقد المنهج المستخدم وملاءمته

اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي وأسلوب المسح بالعينة في معالجة إشكالياتها البحثية، وهو اختيار منهجي يتوافق من حيث المبدأ مع طبيعة الدراسات الاستكشافية والوصفية التي تسعى لرصد ظاهرة قائمة وتحديد خصائصها وقياس اتجاهاتها. غير أن هذا الاختيار المنهجي لا يخلو من إشكاليات جوهرية تستدعي المناقشة النقدية المعمقة.

إن الاكتفاء بالمنهج الوصفي الكمي وحده في دراسة ظاهرة معقدة ومركبة كالقيم يُعد قصوراً منهجياً واضحاً، فالقيم بطبيعتها بنية عميقة ومتجذرة في الوعي الفردي والجمعي، ولا يمكن الإحاطة بها وسبر أغوارها من خلال الأرقام والنسب المئوية والجداول الإحصائية فحسب. إن التأثيرات القيمية عملية دينامية معقدة تتشكل عبر تفاعلات مستمرة ومتراكمة، وتتأثر بسياقات ثقافية واجتماعية ونفسية متشابكة، وهو ما يستعصي اختزاله في استجابات محددة على استبيان مغلق. كان من الأنسب والأرصن منهجياً تبني مقاربة منهجية مختلطة تجمع بين الأساليب الكمية والكيفية، كإجراء مقابلات معمقة شبه موجهة مع عينة من الطلبة للكشف عن التمثيلات العميقة والمعاني الذاتية المرتبطة باستخدام هذه المنصات، أو تنظيم مجموعات نقاش مركزة لاستكشاف ديناميات التأثير والتأثر الجماعي، أو توظيف أسلوب تاريخ الحياة لفهم المسارات القيمية الفردية في علاقتها بالاستخدام الرقمي.

نقد المنهج المستخدم وملاءمته

كذلك يُلاحظ أن المنهج الوصفي بطبيعته منهج آني يرصد الظاهرة في لحظة زمنية محددة، بينما التأثيرات القيمية عملية تراكمية طويلة المدى تتشكل عبر الزمن، مما يطرح تساؤلاً مشروعاً حول مدى قدرة هذا المنهج على رصد تأثيرات حقيقية أم مجرد ارتباطات ظاهرية. كان من الممكن تعزيز الدراسة بتصميم طولي أو شبه تجريبي يتيح تتبع التحولات القيمية عبر فترات زمنية متعاقبة، أو على الأقل توظيف المقارنة بين فئات مختلفة من حيث كثافة الاستخدام ومدته. كما أن غياب المكون الكيفي حرم الدراسة من إمكانية الوصول إلى فهم عميق لآليات التأثير وسياقاته وتمثلات الفاعلين أنفسهم لهذا التأثير.

نقد مجتمع البحث والعينة وتمثيليتها

حددت الباحثة مجتمع بحثها في ٦٢٢, ٧٠ طالباً وطالبة موزعين على جامعات قسنطينة الأربع ضمن مستويي الليسانس والماستر وعبر مختلف التخصصات العلمية، واعتمدت في سحب عينتها أسلوب العينة الطبقية العشوائية ذات التوزيع التناسبي بحجم ٤٠٠ مفردة. يُسجل للباحثة التزامها بالإجراءات المنهجية السليمة في تحديد مجتمع البحث وتوظيف أسلوب معاينة يضمن نظرياً تمثيلية العينة للمجتمع الأصلي. غير أن هذا الجانب لا يخلو من ملاحظات نقدية جوهرية.

أبرز هذه الملاحظات يتعلق بإشكالية التعميم والتمثيلية، فرغم ضخامة مجتمع البحث المحلي، يظل اقتصار الدراسة على جامعات قسنطينة وحدها قاصراً عن تمثيل الطالب الجامعي الجزائري بكامل تنوعه الجغرافي والثقافي والاجتماعي. فالجزائر بلد مترامي الأطراف يتسم بتنوع إقليمي ملحوظ بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، وبين المناطق الحضرية والريفية، وتختلف الخصائص الثقافية والاجتماعية والاقتصادية من منطقة لأخرى، مما قد ينعكس على أنماط استخدام وسائل التواصل الاجتماعي وعلى طبيعة التأثيرات القيمة. كان من الضروري إما توسيع النطاق الجغرافي للعينة ليشمل جامعات من مناطق متنوعة، أو التحفظ الصريح في تعميم النتائج والاعتراف بمحدودية نطاقها الجغرافي.

نقد مجتمع البحث والعينة وتمثيليتها

كذلك يُطرح تساؤل حول مدى تجانس مجتمع البحث المفترض، فقد شملت الدراسة طلبة من مختلف التخصصات العلمية والأدبية والتقنية، بينما قد تختلف أنماط استخدام وسائل التواصل الاجتماعي وتأثيراتها القيمية باختلاف التخصص والخلفية المعرفية. كما أن دمج مستويي اللسانيات والماستر في عينة واحدة قد يُخفي تبايناتٍ جوهرية مرتبطة بالنضج الأكاديمي والعمر، وكان من الأفضل إجراء مقارنات بين هذه الفئات أو التركيز على فئة محددة. علاوة على ذلك، لم يتضح من المعطيات المتاحة كيفية التعامل مع حالات الرفض أو عدم الاستجابة ومعدلاتها، وهو أمر مهم لتقييم مدى تمثيلية العينة الفعلية.

نقد أدوات جمع البيانات ومصادقيتها

اعتمدت الباحثة على استمارة الاستبيان كأداة رئيسية ووحيدة لجمع بياناتها الميدانية من عينة قوامها ٤٠٠ مفردة، وهي أداة شائعة في البحوث الكمية المسحية تتيح الوصول لأعداد كبيرة من المبحوثين بتكلفة وجهد محدودين نسبياً. غير أن الاعتماد الحصري على هذه الأداة في دراسة موضوع بالغ التعقيد والحساسية كالقيم يُثير جملة من التحفظات المنهجية الجوهرية التي تستدعي النقاش المعمق.

يُعد الاستبيان بطبيعته أداة تقريرية تعتمد على ما يُصرح به المبحوث عن ذاته وسلوكياته واتجاهاته، وليس على ما يفعله أو يعتقد فعلياً، وهو ما يفتح الباب واسعاً أمام إشكالية الفجوة بين القول والفعل وبين التصريح والواقع. ففي موضوع حساس كالقيم، يميل المبحوثون عادةً نحو الإجابات المرغوبة اجتماعياً والمقبولة ثقافياً بدلاً من الكشف الصريح عن مواقفهم وسلوكياتهم الحقيقية، خاصة حين يتعلق الأمر بقيم قد يُنظر إليها سلباً كالتأثر بالمحتوى الرقمي أو تراجع بعض القيم التقليدية. كما أن الاستبيان يفرض إطاراً مسبقاً من الأسئلة والخيارات قد لا يستوعب تعقيد التجربة الذاتية للمبحوثين وثرأ تمثلاتهم.

نقد أدوات جمع البيانات ومصادقيتها

كان من الضروري منهجياً تحقيق ما يُعرف بالمثلثة المنهجية عبر توظيف أدوات متعددة ومتكاملة تُعزز بعضها بعضاً وتُتيح التحقق المتبادل من صدق البيانات. فعلى سبيل المثال، كان يمكن استكمال الاستبيان بتحليل مضمون كمي وكيفي لصفحات الطلبة ومنشوراتهم وتفاعلاتهم الفعلية على منصتي الفيسبوك واليوتيوب، مما كان سيوفر بيانات سلوكية موضوعية بدلاً من الاكتفاء بالبيانات التصريحية. كذلك كان يمكن إجراء ملاحظة إثنوغرافية رقمية لرصد السلوكيات الفعلية للطلبة على هذه المنصات، أو توظيف المقابلات المعمقة مع عينة محدودة للوصول إلى فهم عميق لآليات التأثير القيمي وسياقاته. إن غياب هذا التنوع في الأدوات يُضعف المصادقية الداخلية للدراسة ويُقلل من الثقة في نتائجها.

كذلك لم يتضح من المعطيات المتاحة مدى إجراء اختبارات الصدق والثبات للأداة المستخدمة بالدقة الكافية، ولا كيفية بناء مقاييس القيم المختلفة والتحقق من خصائصها السيكمترية، وهي أمور حاسمة في دراسة متغير معقد كالقيم. كما أن طبيعة الأسئلة وصياغتها وترتيبها قد تؤثر في استجابات المبحوثين بطرق قد تشوه الصورة الحقيقية للظاهرة المدروسة.

نقد الإطار الزمني والسياقي للدراسة

أجرت الباحثة دراستها الميدانية خلال الفترة الممتدة بين الأول من مايو والثلاثين من يونيو من عام ٢٠٢١، وهو تحديد زمني واضح ودقيق يُحسب للباحثة. غير أن هذا التحديد الزمني يُثير إشكاليات سياقية بالغة الأهمية كان ينبغي معالجتها صراحة ضمن الدراسة.

أُجريت الدراسة الميدانية في فترة استثنائية تزامنت مع استمرار تداعيات جائحة كوفيد-١٩ التي أحدثت تحولات جذرية غير مسبوقة في أنماط الحياة والتواصل والتعليم على المستويين العالمي والمحلي. فقد اضطر الطلبة خلال هذه الفترة للاعتماد المكثف والاستثنائي على المنصات الرقمية بسبب الإغلاقات والتعليم عن بُعد والتباعد الاجتماعي المفروض، مما قد يكون أثر جوهرياً في معدلات الاستخدام وأنماطه ودوافعه، وبالتالي في طبيعة التأثيرات المرصودة. إن الاستخدام في ظروف الجائحة قد يختلف نوعياً عن الاستخدام في الظروف العادية، سواء من حيث الكثافة أو الدوافع أو المضامين المستهلكة أو التأثيرات الناجمة.

نقد الإطار الزمني والسياقي للدراسة

كان ينبغي على الباحثة مناقشة هذا السياق الاستثنائي صراحة وتحليل أثره المحتمل على النتائج، أو على الأقل الإشارة الصريحة إلى أن النتائج المتوصل إليها قد تكون مرتبطة بظروف الجائحة الخاصة وليست بالضرورة قابلة للتعميم على الأوضاع العادية. إن تجاهل هذا البعد السياقي يُضعف القيمة التفسيرية للنتائج ويُقلل من إمكانية الاستفادة منها مستقبلاً. كذلك يُلاحظ أن الفترة الزمنية للدراسة الميدانية (شهران) قد تكون قصيرة نسبياً لدراسة تأثيرات قيمة من المفترض أنها تتشكل عبر فترات زمنية أطول.

نقد الأساليب الإحصائية المستخدمة

اعتمدت الباحثة على مجموعة من الأساليب الإحصائية الوصفية والاستدلالية في تحليل بياناتها، من بينها التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لوصف خصائص العينة وأنماط الاستخدام. غير أن التدقيق النقدي في الأساليب الإحصائية المستخدمة يكشف عن جملة من الملاحظات الجوهرية التي تستوجب المناقشة والتي قد تؤثر في مصداقية النتائج وقوتها.

فمن الملاحظات الأساسية عدم وضوح طبيعة الاختبارات الإحصائية الاستدلالية المستخدمة لاختبار الفرضيات والتحقق من العلاقات بين المتغيرات، إذ إن دراسة التأثير تتطلب استخدام أساليب تحليلية متقدمة تتجاوز مجرد الإحصاء الوصفي. فإذا كان الهدف هو الكشف عن العلاقة بين كثافة الاستخدام والتأثيرات القيمية، فإن ذلك يستوجب استخدام معاملات الارتباط المناسبة لطبيعة البيانات مع التحقق من افتراضاتها الإحصائية، وإذا كان الهدف هو التنبؤ بالتأثيرات القيمية من خلال أنماط الاستخدام ودوافعه فإن ذلك يستوجب استخدام تحليل الانحدار المتعدد مع التحقق من افتراضاته. كذلك لم يتضح ما إذا كانت الباحثة قد تحققت من الافتراضات الإحصائية اللازمة لاستخدام الاختبارات البارامترية كالتوزيع الطبيعي للبيانات وتجانس التباينات واستقلالية المشاهدات، وهي افتراضات ضرورية لصحة الاستدلال الإحصائي.

نقد الأساليب الإحصائية المستخدمة

كذلك يُلاحظ أن الدراسة تتحدث عن "تأثير" مواقع التواصل الاجتماعي على القيم، بينما التصميم المنهجي المعتمد وهو المسح الوصفي المقطعي لا يُتيح في الحقيقة إثبات علاقات سببية حقيقية، وإنما يرصد فقط ارتباطات قد تكون ظاهرية أو زائفة أو معكوسة الاتجاه. فإثبات التأثير السببي يتطلب تصميمات بحثية مختلفة كالتصميم التجريبي أو شبه التجريبي أو على الأقل التصميم الطولي الذي يتتبع التغيرات عبر الزمن، ولذلك كان ينبغي على الباحثة الحذر في استخدام مصطلح "التأثير" والاكتفاء بالحديث عن "العلاقة" أو "الارتباط" الذي لا يعني بالضرورة السببية. كما أن غياب ضبط المتغيرات الوسيطة والدخيلة كالخلفية الأسرية والمستوى الاقتصادي والتدين والانتماء الجغرافي يُضعف إمكانية نسب التأثيرات المرصودة لمواقع التواصل الاجتماعي وحدها.

نقد اختبار الفرضيات والاستدلال الإحصائي

يُعد اختبار الفرضيات جوهر العملية البحثية الكمية وأساس الاستدلال العلمي، ويتطلب التزاماً صارماً بإجراءات منهجية محددة لضمان موضوعية النتائج ومصادقيتها. وبناءً على النتائج المعروضة في ملخص الدراسة، يمكن إبداء عدة ملاحظات نقدية جوهرية حول هذا الجانب تستدعي المناقشة المعمقة.

فمن الملاحظات الأساسية ما يتعلق بتحديد مستوى الدلالة الإحصائية، إذ لم يتضح ما إذا كانت الباحثة قد حددت مسبقاً وقبل جمع البيانات مستوى الدلالة المعتمد لقبول أو رفض الفرضيات سواء كان 0.05 أو 0.01 أو غيرهما، وهو إجراء ضروري لمنع ما يُعرف بالتنقيب في البيانات أو اصطيات الدلالة الإحصائية بأثر رجعي. كذلك لم يتضح نوع الاختبارات الإحصائية المستخدمة بدقة، فاختبار العلاقة بين متغيرين يختلف عن اختبار الفروق بين مجموعات، واختبار التأثير يتطلب أساليب مختلفة عن اختبار الارتباط، واختيار الاختبار المناسب يتوقف على طبيعة المتغيرات ومستوى قياسها وتوزيع البيانات وحجم العينة.

نقد اختبار الفرضيات والاستدلال الإحصائي

كذلك يُثار تساؤل حول مدى الاهتمام بحجم الأثر الإحصائي وليس فقط الدلالة الإحصائية، فالدلالة الإحصائية وحدها قد تكون مضللة خاصة مع العينات الكبيرة نسبياً كعينة هذه الدراسة التي بلغت ٤٠٠ مفردة، إذ قد تظهر فروق أو ارتباطات دالة إحصائياً لكنها ضعيفة جداً من الناحية العملية ولا تحمل أهمية حقيقية. لذلك كان من الضروري حساب معاملات حجم الأثر المناسبة كمربع إيتا أو معامل كوهين وتفسير النتائج في ضوءها وليس فقط في ضوء القيم الاحتمالية. كما يُلاحظ غياب فترات الثقة في عرض النتائج، وهي أداة إحصائية مهمة تُعطي صورة أدق عن دقة التقديرات ومدى عدم اليقين المرتبط بها، وتُتيح للقارئ تقييم النتائج بشكل أفضل من الاكتفاء بالقيم النقطية والقيم الاحتمالية.

الخلاصة

في ضوء التحليل النقدي المعمق والشامل السابق، يمكن القول إن هذه الرسالة تُمثل محاولة علمية جادة للإسهام في حقل دراسات الإعلام الرقمي والتواصل الاجتماعي في السياق الجزائري، وقد تناولت موضوعاً راهناً ومهماً يستحق الاهتمام البحثي المتواصل. وقد أظهرت الباحثة التزاماً واضحاً بالإجراءات المنهجية الأساسية للبحث العلمي الكمي من حيث تحديد المشكلة والمجتمع والعينة واستخدام أسلوب معاينة احتمالي وتوظيف أدوات جمع البيانات والتحليل الإحصائي. غير أن الدراسة، شأنها شأن أي عمل بحثي بشري، لا تخلو من ثغرات ونقاط ضعف منهجية تستوجب الإشارة إليها للإفادة منها في البحوث المستقبلية وتطوير الممارسة البحثية في هذا الحقل.

وبناءً على هذا التحليل النقدي، يمكن تقديم التوصيات التالية للباحثين المستقبليين في حقل الإعلام الرقمي: ضرورة تبني المقاربات المنهجية المختلطة التي تجمع بين الكم والكيف في دراسة الظواهر الاتصالية المعقدة مع تحقيق المثالته المنهجية، وأهمية التأسيس النظري الواضح والصريح والموظف فعلياً للدراسات، والاهتمام بالخصائص السيكمترية لأدوات القياس والتحقق منها بدقة، واستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة لطبيعة البيانات وأهداف البحث مع التحقق من افتراضاتها والاهتمام بحجم الأثر وليس فقط الدلالة الإحصائية، والحذر في استخدام مصطلحات السببية عندما يكون التصميم البحثي ارتباطياً، ومراعاة السياق الزمني والظروف المحيطة ومناقشة تأثيراتها المحتملة، والسعي نحو

تحقيق إضافة علمية حقيقية تتجاوز النتائج المتوقعة والشائعة.



مجموعة جامعة
الجميع الذكية
للتعليم القابضة

MIDOCEAN
UNIVERSITY



Thank You

